



«شجر زيتون» لفان غوخ (زيت على كانفاس - 1889)

## شجرة الزيتون والإله زحل

وخلفها دبية بن حرمي الشيباني ثم السلمي، وكان سادتها» (هشام الكلبى، الأصنام). وإذا تجاهلنا الطريقة الروائية التشويقية، فإن لدينا ثلاث شجرات سمر. والثالثة منهن هي شجرة العزى. وأظن أن الشجرة الثالثة هنا هي الشجرة الوسطى. فالإلهة الأثني تكون في الوسط دوماً، لا شرقية ولا غربية. وإذا كان العزى في الوسط، فيجب أن يكون اللات ومناة على الطرفين: اللات شرقي، ومناة غربي. فنحن مع ثالث تكمن العزى في وسطه (اللات والعزى ومناة). وهذا الثالث هو الشجرة الكونية التي لها ثلاثة جذوع أو ثلاثة أفرع. ولاحظ أن العزى في النص حبشية سوداء «فإذا هو بحبشية نافشة شعرها». والسواد لون إيزيس. فايزيس زرقاء سوداء. بذا فالسواد لعزى وإيزيس. زحل أيضاً أسود لأنه مرتبط بشجرة الزيتون. سواده من سوادها: «واعلموا أن كل حيوان أسود فهو لزحل. وكل حجر كذلك فهو لزحل. وكل نبات أسود فهو له. واعلموا أن شجرة الزيتون اجتمع السواد في ثمرتها والرزانة في خشبها» (ص 15). وشجرة السمر تلعب هنا دور شجرة الزيتون. الاثنان تمثلان آلهة من طراز العزى-الشعري-إيزيس.

\* شاعر فلسطيني

جاء في القرآن عن الزيتون في سورة النور: «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار». وكما نرى فالزيتونة هنا توصف بأنها لا شرقية ولا غربية. ومن الآية يمكن أن نفهم أن هناك ثلاث شجرات أو شجرة بثلاثة أفرع رئيسية: شرقية وغربية، ووسطى بينهما. الوسطى ليست شرقية وليست غربية، بل هي عقدة الميزان التي تمسك بالكفتين الشرقية والغربية. ونحن نعلم أنه كان في معبد العزى في بطن نخلة قريباً من مكة ثلاث شجرات سمر، وأن العزى كانت تتمثل بالوسطى بينهما كما يخبرنا ابن الكلبى في الأصنام: «كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرة ببطن نخلة. فلما أفتتح النبي (صلى الله عليه وسلم) مكة، بعث خالد بن الوليد، فقال له: إيت بطن نخلة، فإنك تجد ثلاث سمرة، فاعضد الأولى، فاتاها فعضدها. فلما جاء إليه (عليه السلام)، قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية، فاتاها فعضدها. ثم أتى النبي (عليه السلام)، فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثالثة، فاتاها. فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها، تصرف بانيابها،

بوضوح في نص آخر من «الفلاحة النبطية» أنها صنم زحل: «أنا صنم زحل، من سجد لي في كل يوم ثلاث سجدة، وصلى لي ثلاث صلوات، وقرب لي ثلاث قربانات أحبيته مع الهي حياة الكشونا وأدرجته وقت أدراجه جوف المشتى بلا ديب ولا بلى ولا تقطيع، لأنه وقت يدفن، إن دفنت معه في مدفنه، من كل جزء من أجزائي جزء مع أجزائه، لم يبل جسده أبداً. أنا التي عمرت الخرابات» (ابن وحشية، الفلاحة النبطية). وهكذا فشجرة الزيتون إلهة تطلب أن يصلى لها. لكن علينا أن نحترس. فحين تقول «أنا صنم زحل»، فإن هذا لا يعني أن الزيتون تمثل زحلاً، بل يعني أنها قرينة زحل. وانطلاقاً من هذا، فإنه يجب فهم ما

” شجرة الزيتون مرتبطة بالإله زحل عند بعضهم، وبنجمة الشعري اليمانية عند آخرين

“

زحل ومماهيته: سهيل اليماني = زحل. ثالثاً: وبما أننا نعرف أن نجمة الشعري اليمانية هي نجمة إيزيس المصرية، بذا فايزيس المصرية يجب أن تكون على علاقة بشجرة الزيتون. رابعاً: وبما أن أوزيريس هو قرين إيزيس، بذا يمكن الافتراض أن سهيلاً اليماني هو أوزيريس العربي. وأوزيريس له وجهان فيضى وغير فيضى. والفيضى (حين يكون اسمه ساهو) حسب منظومة مصرية قديمة. فنحن نعلم أن سهيلاً اليماني مرتبط أيضاً بالفيض وزيادة الماء. فما زال يقال عندنا: إن ظل سهيل زاد السيل، أي زاد الماء. ولا يخفى عليكم التشابه بين اسم «سهيل» و«ساهو». فهيل اسم مركب (سه إل أي «الإله سه»). وكما ترون، فليس ثمة فارق بين «سه» و«ساهو». إنه الإله ذاته بالطبيعة والاسم. خامساً: وهناك نص للبيروني يقول فيه إن زحل يساوي اللات العربي عند صابئة حران: «ويذكرون أي الصابئة الحرانية أن الكعبة وأصنامها كانت لهم، وعبدها كانوا من جملتهم، وأن اللات كان باسم زحل، والعزى باسم الزهرة» (البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 205). وبما أن زحل يساوي سهيل اليماني ويساوي اللات في الوقت ذاته، فإن هذا يوصلنا إلى أن اللات = سهيلاً اليماني ومماهيته. ولنعد إلى شجرة الزيتون التي تعلن

### زكريا محمد\*

بدأ ابن وحشية كتاب «الفلاحة النبطية» بشجرة الزيتون: «واعلموا أنني بدأت بذكر شجرة الزيتون، قبل دخولي في الكتاب، لعله بقائها، فإنها أبقى النبات كله، فيما يلينا. فلذلك أضافها قدامنا إلى زحل، وقوم منهم أضافوها مع زحل إلى الشعري اليمانية، وهو الكوكب المضيء الذي هو على عنق صورة الكلب إيقصد كوكبة كلب الجوزاء التي مركزها الشعري العجور». فقالوا إنها لهذين الإلهين، فهما يمجدانها ويحوظانها. ولعمري إنهم أصابوا وأحسنوا. فبدأت بذكرها، لأن هذا الكتاب إنما حركني على نظمه إليها زحل لأن الفلاحة كلها وعمارة الأرضين وإصلاح البنات، فبدأت بها لذلك، فاعرفوا مقدار هذه الشجرة وموقعها» (ابن وحشية، الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، ص 18). وهذا نص شديد الأهمية، وكاشف حقاً بشأن ديانات المنطقة العربية. فهو يعطينا كما نرى عدة معلومات مهمة: أولاً: أن شجرة الزيتون مرتبطة بالإله زحل عند بعضهم، وبنجمة الشعري اليمانية عند آخرين. ثانياً: ونحن نعلم أن الشعري اليمانية قرينة الإله-النجم سهيل اليماني. بذا يمكن القول إن سهيلاً اليماني نظير